﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾ [الحشر: 3 - 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتقال من بيان الجلاءِ إلى بيانِ سببه ورحمة الله بعباده

بعد أن بيَّنت الآيتان السّابقتان أنَّ إخراجَ اليهود من ديارهم لأوّل الحشر نعمةٌ كبرى ومِنَّةٌ عظمى، تستوجب اختصاص الله تعالى بمزيد من التَّسبيح والتَّمجيد؛ لأنَّه هو الّذي أخرجهم وأجلاهم؛ ناسب أن تبيّن هاتان الآيتان جانبًا من حكمة الله في إخراجهم[1]، وأن توضِّحا السَّبب الّذي كان وراء إجلائهم، وأن تذكرا كذلك أنّ ما حصل لهم يمكن أن يحصل لكلّ من نهج نهجهم، وسار على دربهم، وأن تُبيِّن نعمةَ الإجلاءِ على اليهود الّتي حالت دون نزول العذابِ عليهم في الدّنيا، وأنَّ ما وقع عليهم كان بسبب مشاقَّتهم الله ورسوله، وشأنُ المُشاقِّ أن يُصيبه عقاب شديد.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْجَلَآءَ﴾: (جلو) أصْلٌ واحِدٌ هوَ: انكِشافُ الشَّيْءِ وبُروزُهُ، يُقالُ: جَلَوْتُ العَروسَ جَلْوَةً وجَلاءً، وجَلَوْتُ السَّيْفَ جَلاءً، ومِنَ البابِ: أجْلَيْتُ القوم عن منازلهم، فَجَلَوا عنها، أي: أبرزتهم عنها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾[2].

2) ﴿شَآقُّوا۟﴾: (شقق) أصْلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على: انصِداعٍ في الشَّيْءِ، تَقولُ: شَقَقْتُ الشَّيْءَ أشُقُّهُ شَقًّا؛ إذا صَدَعْتَهُ، ومِنَ البابِ: الشِّقاقُ، وهوَ الخِلافُ، وذَلِكَ إذا انْصَدَعَتِ الجَماعَةُ، وتَفَرَّقَتْ،

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 286.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جلو)، والرّاغب، مفردات القرآن: (جلو).

يُقالُ: شَقّوا عَصا المُسْلِمينَ، وقَدِ انشَقَّتْ عَصا القَوْمِ بَعْدَ التِئامِها؛ إذا تَفَرَّقَ أمْرُهُمْ[1]، والشِّقاقُ: المخالفة، وكونك في شِقٍّ غير شِقِّ صاحبك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النّساء: 35]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137]، أي: مخالفة، وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: 13]، معناه: صار في شقٍّ غير شقِّ أوليائه[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استبدال الجلاءِ بالعقابِ في الدُّنيا لا يُلغي عقابَ الآخرة

تُبيّن الآيةُ الأولى أنَّ إخراجَ بني النَّضير من ديارهم على الوجه الّذي أراده اللّهُ تعالى، وقضى به عليهم هو عقابٌ يختلف عن عقاب القتل والسَّبي الَّذي أُخِذَ به إخوانُهم من بني قريظة وغيرهم، وسواء أكان العقاب قتلًا أم إخراجًا، فإنَّه لن يكون بديلًا عن عذاب الله لهم في الآخرة[3]، وتُبيِّن الآيةُ الثّانيةُ أنَّ ذلك كلَّه بسبب أنَّهم شاقّوا الله تعالى، وعادَوا رسولَه ﷺ، وأرادوا قتله، وأطلقوا عليه ألسنتهم وأيديهم بالسّوء، وأنَّ من قضاء الله تعالى وسُنَّتِه أن يُعاقب مَنْ يشاقّ اللّه ورسوله بأشدِّ أنواع العذاب[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الواو ودلالتها:

عذابُ الدّنيا لا يُغني عن عذاب الآخرة

تحتمل أن تكون الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ استئنافيَّة، جيء بها للتَّنبيه إلى أنَّ ما حصل لليهود في الدّنيا من عذاب أو إخراج لن يعفيهم من العذاب المُعَدِّ لهم في الآخرة؛ بسبب مشاقَّتهم للّه تعالى، وتحدّيهم لرسوله ﷺ، وتحتمل أن تكون الواو للاعتراض والجملة بعدها معترضة بين فعل الإخراج وسببه، والمعنى: أخرجهم الله تعالى من ديارهم عقابًا لهم على

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شق).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (شق).
(3) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 234.
(4) حجازيّ، التّفسير الواضح: 3/ 644.

كفرهم به سبحانه وتكذيبهم لرسوله ﷺ، وأنَّه لو لم يعاقبهم بالجلاء؛ لعاقبهم بالقتل والأسر؛ لأنَّهم يستحقّون ذلك، فلو لم يقذف في قلوبهم الرّعب حتى استسلموا؛ لعاقبهم بجوع الحصار وفتح ديارهم عنوة، فَعُذِّبوا قتلًا وأسرًا[1].

دلالة التّعبير بـ (لَوْلا):

في عقاب اليهود بالإخراج نصر للمسلمين وغنائم من دون أن تراق دماء من الفريقين

(لَوْلا) حرف امتناع لوجود، أي: امتناع حصول الجواب لوجود الشّرط، وفي التّعبير به دلالة على أنَّ جلاء بني النّضير عن ديارهم كان سببًا في عدم معاقبتهم بالقتل والسَّبي، كما حدث لإخوانهم، فلولا الإخراج؛ لعذَّبهم الله تعالى في الدّنيا عذابًا شديدًا استأصل به شأفتهم، ولكنَّه تعالى كتب عليهم الجلاء دون القتل والسّبي لمصلحة اقتضتها حكمته، لعلَّ من مظاهرها أن يغنم المسلمون ديارهم وأموالهم، دون أن تُراق دماء من الفريقين، ودون أن يُعَرِّض المؤمنون أنفسهم لمخاطر القتال[2].

نكتة التَّعبير بأنْ والفعل الماضي دون المصدر:

التّعبير بالمصدر المؤوَّل يبين زمن الكتابة وفاعلها

جاء التّعبير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ بالمصدر المكوَّن من أنْ والفعل الماضي: ﴿أَن كَتَبَ﴾ دون (كتابة)؛ لما يفيده التَّعبير بالفعل من بيان زمن الكتابة، وتأكيد أنَّها من فعل الله تعالى، وليست من فعل أحد غيره كما سيأتي بيانه، وأنَّ تلك الكتابة كانت لمصلحة أكيدة تعود على المسلمين بالدَّرجة الأولى، ولو عبَّر بالمصدر الصَّريح؛ لما عُرِف زمنُ الكتابةِ، ولما عُرِف فاعلُها ومُقَدِّرُها.

دلالة ذكر فعل الكتابة:

آثر النَّظم الكريم أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾، دون أن يقولَ: (ولولا أن أجلاهم الله)، فجاء

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 73.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 73، وطنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 286.

التَّعبير بفعل: ﴿كَتَبَ﴾؛ للدَّلالة على "أنَّ إجلاءَ اليهود عن المدينة أمرٌ قدَّره الله تعالى عليهم تقديرًا يُشبه الكتابة في تحقُّق مضمونه، وكان مظهرُ ذلك التّقدير الإلهيّ ما تلاحق بهم من النّكبات من جلاء بني النَّضير، ثم فتح بني قريظة، ثم فتح خيبر"[1]، وجيء به ماضيًا؛ للإشارة إلى أنَّه ممّا قدَّره اللهُ تعالى في الأزل على بني إسرائيل بصفة عامّة، وعلى بني النّضير بصفة خاصّة[2].

إجـلاء اليـهـود مما قـدَّره الله تـعـالى تـقـديـرًا مكتوبًا

غرض إظهار اسم الجلالة:

آثر النّظم الكريم إظهار اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾؛ لتأكيد أنَّ كلَّ ما حدث في هذه الغزوة راجعٌ إلى تدبير الله تعالى، وأنَّه أثر من آثار حكمته، وليس لأحد فيه أدنى تدبير أو ترتيب، وهو ما يؤكِّد ضرورة اختصاصه بمزيد من التّسبيح والتّمجيد، ولتقريع اليهود بأنَّ الجلاء الّذي كان عليهم هو بما كتبه الله عليهم، وليعلموا أنَّ ما نالوه إنَّما هو أمر الله وإرادته، وبيانُ هذا المعنى بالإضمار حاصلٌ، لكنّه ليس كإظهار الفاعل، فغرض الإظهار هو تأكيد الفعل، وتوبيخ اليهود وتقريعهم وتبكيتهم.

ما كتبه الله على بـنـي الـنّـضـير؛ بسبب أعمالهم

بلاغة حرف الاستعلاء:

تعدية فعل الكتابة إلى ضمير بني النَّضير بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَيْهِمُ﴾، دلالة على أنَّ الله كتب ذلك الإجلاء إذلالًا وإخزاءً[3]، ولكونه أشدَّ عليهم من التَّقتيل وأشقَّ من السّبي؛ لعِلْم الله بما يوجع كلَّ قبيل منهم، فاختار لهم الإجلاء، واختار لغيرهم القتل والسّبي في الدُّنيا، بجانب ما ينتظرهم من عذاب النّار في الآخرة، فهو إجلاء ثابتٌ ذلُّه عليهم إلى يوم الدّين، وهو من الذّل والمسكنة المضروبة على بني إسرائيل.

إذلالُ الجـلاء لازمٌ لبنـي النضير إلى يومِ الدّين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 73.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 413.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 413.

نكتة تقديمِ الجار والمجرور على المفعول:

اختصَّ اللهُ تعالى يهودَ بني النضير دون غيرِهم بالإخراج

قُدِّم قولُه تعالى: ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ على المفعول: ﴿ٱلۡجَلَآءَ﴾؛ للدَّلالة على اختصاص يهود بني النّضير من بين بني إسرائيل بالإجلاء والإخراج؛ إذ عوقبوا هم بذلك، وعوقب إخوانهم من بني قريظة بالعذاب دون الجلاء، بقتل المقاتِلة وسبي الذّرية، فإنّه تعالى قد قضى قضاءً حتمًا أن يُطهِّر المدينة بلدَ الوحي منهم[1].

بلاغة استعمال مفردة ﴿ٱلۡجَلَآءَ﴾:

كان إخراج بني النَّضير شاملًا الأهل والذرّيّة بدون عود

آثر النَّظم الكريم استعمال مفردة ﴿ٱلۡجَلَآءَ﴾ دون (الإخراج)؛ للإشارة إلى أنَّه كان خروجًا أبديًّا ليس بعده عودٌ، كما أنَّه كان جلاء كاملًا شاملًا جميعَ الأهل والذريَّة، "فالفرق بين الجلاء والإخراج من وجهين: **أحدهما:** أنَّ الجلاءَ ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد، **الثّاني:** أنَّ الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولواحد"[2]، فدلَّ الجلاء على أنّ بني النَّضير جميعهم قد أُخرج من المدينة، ولم يبق أحدٌ منهم، وهو شاهدٌ على مشاقتهم لله ولرسوله، وأنَّ السَّبب في إخراجهم.

نوع (أل) ودلالتها في ﴿ٱلۡجَلَآءَ﴾:

إجلاء بني النّضير معهودٌ لدى النّاس معروف لدى من سمعه به

(أل) في ﴿ٱلۡجَلَآءَ﴾ لتعريف العهد، ما يعني أنَّ المراد به: الإخراج الَّذي يعرفه النّاسُ، وشاهدوه بأعينهم، أو سمعوا عن كيفيَّته وطريقته سماعًا يقترب من الرُّؤية بالعين، والّذي سبق وصف السّورة له بدءًا من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

نوع اللّام ودلالتها:

اللّام في قوله: ﴿لَعَذَّبَهُمۡ﴾ هي الواقعة في جواب (لَوْلا)، وهي

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 413.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 501.

تفيد التَّأكيد الدّال على أنَّ تعذيب اليهود بالقتل والسّبي كان أمرًا محقَّقًا؛ إذا لم يبادروا إلى طلب الجلاء، ويفعلوه، تحقيقًا لقدر الله الأزليّ فيهم، وليس معناه: أنّ الإجلاء كان أهونَ عليهم من الموت، ولكنّ الله تعالى "كتب عليهم الجلاء، واقتضته حكمتُه، والّذي دعاه إلى اختياره أنَّه أشقُّ عليهم من الموت"[1].

الإجلاء لون من ألوان العقاب الشَّديد على النُّفوس

بلاغة التَّعبير بالفعل: ﴿لَعَذَّبَهُمْ﴾:

آثر البيانُ الكريمُ التَّعبيرَ بفعل التَّعذيب، فقال: ﴿لَعَذَّبَهُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنّ العقاب الّذي أعدَّه اللهُ لليهود - حال رفضهم الجلاء ومكابرتهم ما قذفه الله من الرّعب في قلوبهم - سيكون على وجهٍ بالغٍ في الشّدة والألم، وسيجتمع فيه القتل مع السّبي، كما حدث لإخوانهم، فيعذبون عذابًا نفسيًّا وآخر حسيًّا، يُزاد عليه ما أُعِدَّ لهم من العذاب في الآخرة، ولو قيل: (لعاقبهم)؛ لما أوحى فعل العقاب بالشدَّة والألم الذي دلَّ عليه فعل التَّعذيب، المُعَبَّر به عن عقاب الآخرة - كما سيأتي بيانه - إذ التَّعذيبُ نظرٌ إلى نزولِ الألم، والعقاب نظرٌ إلى المجازاة، فكان التَّعذيب أشدَّ من العقاب.

العذابُ أشدُّ من العقاب لما فيه من إبراز الألم وتحصيل النَّدم

بلاغة حرف الظرفية:

التّعبير بحرف الظّرفية في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾؛ لمقابلة زمان الآخرة، فهما زمانان متقابلان، ولكلِّ زمان عذابه الّذي يختصُّ به، فالظّرفيَّة منبِّهةٌ على طبيعة العذابِ ضمن زمانه ومكانه.

نكتة حذف الموصوف (الحياة):

﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره: (الحياة الدّنيا)، ووجه حذف الموصوف والاكتفاء بالصِّفة دون الموصوف، هو الإلماح إلى ما فيها من شقاء وزوال، وليس إلى ما فيها من حياة ونعيم، ولتسليط الضّوء على الدّنيا باعتبارها زمانًا ممتدًّا لا باعتبارها

عذابُ اليهود الدّنيويُّ خالٍ من معنى الحياة الّتي يحرصون عليها

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 500.

حياةً ينغمس فيها النّاس بطلب معيشتهم، ولمّا كان اليهود أحرصَ النّاس على حياةٍ؛ كان حذف لفظ الحياة هو الأولى بالمقام؛ للتّنبيه على أنَّ الحياة ستكون معدومةً بالنِّسبة إليهم، ولبيان التّقابل بين الدُّنيا والآخرة باعتبار ما فيهما من عذابٍ، لا باعتبار ما فيهما من حياةٍ، فهما زمانان متقابلان يجري فيهما العذابُ.

نوع الواو في قوله: ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ تحتمل أن تكون استئنافيّة، والجملة بعدها مستأنفة؛ لبيان ما أعدَّه الله تعالى لليهود من عذاب في الآخرة، بالإضافة إلى ما عُذِّبوا به من إجلاءٍ أو تقتيلٍ في الدّنيا، وتحتمل أن تكون الواو لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ﴾، أو على جملة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقصد الاحتراس من توهُّم أنَّ الجلاءَ بدلٌ من عذاب الدّنيا ومن عذاب الآخرة[1]، فكان الخبر الّذي تضمّنته الجملة حاملًا معنًى تنبيهيًّا على أنَّ لهم فوق هذا الّذي عُذِّبوه في الدُّنيا عذابٌ آخر في الآخرة.

الاحـتراسُ عن مـظـنَّـة تحقيق البدل في عـذاب الدُّنيا عن الآخرة

دلالة تقديم الخبر على المبتدأ:

قوله: (لَهُمۡ) جار ومجرور في محلِّ رفع خبر مقدّم، والضَّمير فيه يعود إلى اليهود الّذين عُذِّبوا بالقتل أو الإخراج في الدّنيا، وتقديم الخبر على المبتدأ ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ للاهتمام بعذاب النّار في الآخرة، بجانب العذاب الّذي خُصّوا به في الدّنيا، أو لتخصيص عذاب الآخرة بهم على وجه المبالغة، فكأنَّ عذاب الآخرةِ لم يكن إلّا لهم لسوء ظنّهم باللّه تعالى ومبادرتهم بالكفرِ، فقد كانوا أوّل من كفر به ممّن وجب عليه أن يكون أوّل من آمن به.

الاهتمام بعذاب الآخـرة تـوكـيدٌ لوقعه وتحقيقٌ لواقعه

دلالة استعمال حرف الظرفية:

التّعبير بحرف الظرفيّة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 74.

عذاب الآخرة زمانٌ ومكانٌ مستقلٌّ بذاته وصفاته عن عذاب الدّنيا

﴿ٱلنَّارِ﴾ دالٌّ على أنّ بني النّضير ومَنْ على شاكلتهم من اليهود والكفّار سيعذّبون في الآخرة عذابًا أبديًّا شاملًا للآخرة كلِّها، وأنَّ انغماسَهم في النّار سيدوم دوامًا لا مجال فيه للفرار، ولا أمل معه في الخروج بأيِّ شكلٍ من الأشكال، ولتحسّن المقابلة بين زماني العذاب، فأحدهما في الدّنيا والآخر في الآخرة، ولن يُغني أحدهما عن الآخر، ولن يتّصل أحدهما بالآخر، فهما ظرفان زمانيّان مكانيّان في كلٍّ منهما عذابُه الّذي كتبه الله عليهم.

بلاغة الطّباق بين ﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾:

التّقابل بين الأضداد في جهةٍ جامعةٍ يزيد من هولِ الموقف وشديد العذاب

طابق النّظمُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ بين اسمين هما: ﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، وجَمَعَ بينهما في قَرْنٍ واحدٍ لإيضاح أنَّ عقاب اليهود على الكفر بالله تعالى ومعاداة رسوله ﷺ لن يقتصر على العذاب الدُّنيويِّ بالقتل أو الإجلاء فقط، ولكنه سيمتدُّ؛ ليشمل تعذيبهم بالنّار الّتي لا يعرف حقيقة عذابها إلا اللهُ ﷻ في الآخرة، وذِكْرُ مفردة (العذاب) معهما دالٌّ على أنَّ كلا العذابين بالغٌ الغايةَ في الشدَّة والألم، وكافٍ في ردعِ مَنْ يجترئ على الكفر بالله تعالى ومعاداة رسوله ﷺ وزجرِه.

نكتة اختيار ﴿عَذَابُ﴾:

آثر البيانُ التّعبيرَ بمفردة العذاب دون (العقاب) في قوله: ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾؛ للدَّلالة على أنّ العقاب بالنّار بالغٌ الغايةَ الّتي لا مزيد عليها في الشّدة والألم كما سبق بيانه.

نوع (أل) ودلالتها في ﴿ٱلنَّارِ﴾:

مِنْ خصائص النّار التّعذيب والإيلام لكلّ من ألقي فيها

(أل) في ﴿ٱلنَّارِ﴾ للعهد الذهنيّ، أي: النّار الّتي ذُكِرت في كتاب الله في مواطنَ عديدة، وسُمّيت بأسماء كثيرةٍ، فإذا ذكرت انصرف الذّهنُ إليها، ونارُ الدّنيا لا تساوي بجانبها شيئًا.

دلالة إضافة ﴿عَذَابُ﴾ إلى ﴿ٱلنَّارِ﴾:

عـــذابُ الـنّـار عذابٌ خاصٌ لم يعرف النّاس له مثيلًا

في إضافة ﴿عَذَابُ﴾ إلى لفظ ﴿ٱلنَّارِ﴾ دلالة على أنَّ من خصائصها التَّعذيب والإيلام لكلِّ مَنْ أُلْقِيَ فيها، على الوجه الّذي يكافئ ما ارتكب من آثام، وما اقترف من خطايا، فالإضافة بمعنى (في)، أي: عذابٌ في النار، أو بمعنى (اللّام)، أي: عذابٌ خاصٌّ بالنّار، واجتماع المعنيين هو الظّاهر، فالعذاب سيكون خاصًّا بها وفيها في آن، ومِنْ ثمَّ يكونُ للتَّرهيب بها والتَّخويف من عذابها أثرُه في صرف النّاس عن موجباته، الّتي يأتي على رأسها الكفرُ بالله والغدرُ برسوله ﷺ.

علَّة فصل جملة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ﴾:

تعليلُ الأفعالِ الإلـهـيَّة رحمةٌ بالعبادِ لردعهم عـــن أسـبـاب العذاب

جاءت جملة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ﴾ مفصولة عمّا قبلها لشبه كمال الاتِّصال، الّذي تجيب فيه الجملةُ المفصولةُ عن سؤال أثاره الكلامُ السّابقُ في نفس المتلقّي، عن السَّبب في اختصاص اليهود بعذابٍ في الدُّنيا وعذابِ النّار في الآخرة، ومن ثمَّ تُفصل عمّا قبلها كما يُفصل الجوابُ عن السّؤال، كما أنَّ فيها معنى التّعليل المكتسب من الفصل.

مرجع اسم الإشارة وبلاغة التَّعبير به:

عـــذاب الـلـه عظيمٌ في ذاته وفي آثاره يورِّث سماعُه الخوف والنَّدم

اسم الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ يشمل كلَّ ما ذُكِر من إخراج الّذين كفروا من ديارهم، وقذْفِ الرّعب في قلوبهم، وتخريبِ بيوتهم، وإعدادِ العذاب في الآخرة لهم[1]، وأوثر التَّعبير بالبعيد دون القريب مع كون المشار إليه قريبًا تعظيمًا لما نزل بهم وتفخيمًا لشأنه، بإنزال ما فيه مِنْ بُعدٍ معنويٍّ منزلة البُعد الحِسيِّ، والمعنى: ذلك الأمر العظيم الّذي فعله اللّهُ بهم من الجلاء ومقدّماته في الدّنيا، ويفعله بهم في الآخرة[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 74.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 414.

نوع الباء ودلالتها:

اليهود راسخون فـي مـشـاقَّـة الـلـهِ ورسـولِـه متشبِّعون بها

الباء في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد السببيّة، والمعنى: ذلك لأنَّهم شاقّوا الله ورسوله، ووجه التّعبير بالباء الّتي تفيد الإلصاق في الأصل[1]، دون لام التَّعليل الدّلالة على أنَّهم ضالعون في معاداة الله ورسوله، راسخون فيها، كأنَّها ملتصقة بهم، وتجري في عروقهم، وكأنَّهم مُتَشبِّعون بها، لا ينفكّون عنها.

بلاغة التّوكيد:

اليهود ضالعون في المشاقة، وإن حـاولـوا إخـفـاء ذلك

آثر النّظم الكريم التّعبير بقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ﴾، ولم يقل: (بمشاقّتهم)؛ ليتوصَّل بـ (أنَّ) إلى تأكيد سببِ التّعذيب، وهو اتّخاذُ اليهود شِقًّا غير شقِّ الله وشقِّ رسولِه، وفعلهم ذلك على وجه التّأكيد، وفي التّعبير عن المسند إليه بالضّمير العائد إلى اليهود مُقدَّمًا على الخبر الفعليِّ في جملة: ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ﴾ زيادة تأكيد بقيام اليهود بمشاقَّة الله تعالى، ومعاداة رسوله ﷺ، وتقوية لحصول ذلك منهم، وإن حاولوا إخفاءه أو الإسرارَ به.

نكتة استعمال مفردة المشاقّة دون العداوة:

العـداوة حقيقة والمشاقَّة دليلٌ

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة ﴿شَآقُّواْ﴾ الموضوع للانصداع؛ للدّلالة على إيغال اليهود في العداوة وإبلاغهم في الكيد والإيذاء، وذلك لأنَّهم اتّخذوا شقًّا غيرَ شقِّ الله تعالى وشقِّ رسوله، ووقفوا في جانبٍ مغايرٍ لجانبهما تمامًا، بخلاف فعل العداوة الدّالِّ على مجرَّد التَّجاوز القلبيّ من غير إيذاءٍ أو انضواءٍ تحت لواء فريق آخر[2]، وهو ما يخالف واقع اليهود وحقيقتهم؛ فالمشاقّة دالَّةٌ على العداوةِ بطريق اللّزوم، مع تصويرِ مشهد المشاقّة؛ فالعداوة حقيقة والمشاقّة دليلٌ.

(1) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 36.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عدا)، والرّاغب، مفردات القرآن: (عدا).

فائدة ذكر اسم الجلالة:

لا كفرَ أشنع من الاجتراء على الله تعالى

أوثر ذكر اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه؛ إذ شاقّوا، وغالَبوا مَنْ لا سبيل إلى مغالبته أصلًا، وللإشعار بعلَّة الحكم في جملة الجواب[1].

فائدة تعدية الفعل إلى ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾:

التّشنيع بصنيع اليهود وتشريف مقام الرّسول

آثر النّظم الكريم ذِكر اللّه تعالى وعطف الرّسول عليه، مع أنّه "كان يكفي ذكر الرَّسول أو ذكر ربِّه؛ للإشارة إلى أنّ محاربة الرّسول محاربةٌ للّه، وأنّ طاعة الرّسول طاعةٌ للّه، وأنّ عصيانَ الرّسول محادةٌ للّه ومعاداةٌ له ﷺ"[2]، مع ما في ذلك من تشريف رسول اللّه ﷺ، ورفع شأنه في مواجهة يهود الّذين حسدوا العرب أن يُرسل فيهم رسول.

فائدة تعدية الفعل إلى ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾:

عداء اليهود كان للمُرسِل سبحانه والرَّسول والرِّسالة

سبق القول بأنّ تعدية الفعل: ﴿شَآقُّواْ﴾ إلى ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، فيه تقبيح لصنيع اليهود وتشنيع بفعلهم واجترائهم، وفيه كذلك دلالة على استحقاقهم العذاب الدّنيويّ الّذي أنزله اللّه تعالى بهم، والعذاب الأخرويّ الّذي أعدّه لهم، ولو عُدّيَ الفعل إلى (المؤمنين) لما بلغ صنيعُهم حدَّ الشّناعةِ والقُبحِ الّذي أفاده التّركيبُ القرآنيّ، وعدم ذكر المؤمنين لبيان العموم، فكلُّ من يُعادي اللّه تعالى، ويُعادي رسولَه، فقد عادى أولياءهما لزومًا، ولتوجيه الأنظار إلى أنَّ المشاقّة هي في حقيقتها للعقيدة المتمثّلة بالمرسل سبحانه والرّسول والرّسالة.

نكتة التّعبير بعنوان الرّسول:

التّعبير بوصف الرّسالة دون وصف النبوّة دالٌّ على أنّ عداوة اليهود

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 11.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/ 3081.

لرسول الله ناتجة عن اصطفاء نبيّ عربيّ للرّسالة الخاتِمة دونهم، وإشارة إلى أنّ حرمانهم من هذا الشّرف العظيم هو الباعث الرّئيس على تلك المشاقّة، وفيه أيضًا دلالة على استهانتهم بالوحي النّازل من عند الله تعالى على رسوله وتكذيبهم له، ولو ذكر وصفَ النبيّ؛ لذهبت الإشارةُ إلى العلّة الّتي لأجلها كانت العداوة، وهي أنَّ الله تعالى أرسل رسولًا برسالةٍ ناسخةٍ لشريعة موسى، وهذا من أعظم ما ابتُلي به اليهود على مرِّ التّاريخ، فإرسال عيسى ﷺ لم يكن البلاء الأعظم لعلمه بأنّه ليس الخاتم، فانتظروا، فما ظفروا إلّا بالذمِّ والهوان.

عـداوتـهـم للنبيّ ناتجةٌ عـن اصطفائِه لـلـرّسـالـةِ الخاتِمة

نوع الواو في قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ استئنافيّة، والجملة بعدها تذييل يفيد عموم الشِّدَّة في العقاب، والإبلاغ في العذاب لكلِّ مَنْ يعادي اللّهَ تعالى، ويجترئ على رسوله ﷺ[1]، وتحتمل أن تكون الواو عاطفةً ما بعدها على جملة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ "تكملةً لما قبلها وتقريرًا لمضمونه، وتحقيقًا للسّببيّة بالطريق البرهانيّ، كأنَّه قيل: ذلك العقابُ الشّديدُ بسبب مشاقّتهم لله تعالى ورسوله، وكلُّ مَن يشاقق الله ورسوله - كائنًا مَن كان - فله بسبب ذلك عقابٌ شديدٌ"[2].

احـتـمـال الاسـتـئـنـاف والعطف يقتضي توكيد ما قبله وتقريره

دلالة التّعبير بالمضارع: ﴿يُشَآقِّ﴾:

عبّر البيان بفعل المشاقّة الدّال على المخاصمة والعداوة - كما سبق بيانه - مضارعًا لما يفيده التّعبير بالمضارع من التّحذير الشّديد، والتّهديد والوعيد لمن تتجدَّد عداواته لله تعالى ولرسوله ﷺ في المستقبل، ويبقى مُصِرًّا على تجاوز حدِّ الطّاعة والاتّباع بعد معرفته ما حدث لبني النّضير بسبب فعلهم ذلك، من إجلاءٍ وشتاتٍ في الحياة الدّنيا، ووعيدٍ بعذاب أليم في الدّار الآخرة.

التّهديد والوعيد لمـن تـتـجـدَّد عـداوتـه لله ورسوله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 74.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 266.

بلاغة الاقتصار على اسم الجلالة في الجملة الثّانية:

مشاقَّةُ الرّسول مشاقَّةٌ لله من غير مثنوية

لم يكرّر البيان القرآنيّ ذِكْرَ رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾؛ تربيةً للمهابة، وتفخيمًا للرّسول ﷺ، ورفعةً لشأنه؛ بإفهام أنَّ مشاقَقَتَهُ مشاقَقَةٌ لله من غير مثنويّة أصلًا، وإشارة أخرى إلى أنَّهم بالغوا في إخفاء مشاقّتهم له، فلم يظهر عليها غيرُ الله؛ إذ لم يحصل منهم مفاعلة بينهم وبين الرّسول؛ إذ لم يمكر بهم، وإنَّما جاهرهم حين أعلمه اللهُ بمكرهم[1].

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾:

مشاقَّةُ الله تعالى ومعاداةُ رسوله سببٌ في غضب اللهِ وعقابه

قولُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ سَدَّ مسدَّ جواب الشّرط أو دليلٌ عليه، والفاء فيه للتسبُّب الدّال على أن الاجتراء على مشاقّة الله تعالى، والإصرار على معاداة رسوله ﷺ، سببٌ في غضب اللهِ المعروفِ بالرّحمة، وباعثٌ إلى عدم إمهاله مَنْ يفعل ذلك، وسببٌ في معاقبته بأشدِّ أنواعِ العقابِ وأقساها.

فائدة إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار:

تربية المهابة وتشديدٌ في الزّجر لمن آثر المشاقّة على الطّاعة

كان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (فإنَّه شديد العقاب)، لكن النّظمَ الكريمَ عدل عن الإضمار إلى إظهار الاسم الجليل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ تربيةً للمهابة، وتشديدًا في الزَّجر والإرعاب؛ لما فيه من التّنبيه إلى أنَّ الّذي سيتولّى إنزالَ العقاب بمن تجاوز حدود الأدب في حقه جلّ شأنه، وفي حقِّ الرّسول الّذي أمره بالبلاغ عنه هو الله تعالى، بما له من الإحاطة والعظمة والاقتدار.

وجه التّعبير بالشدّة في قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

شديدُ العداوة يستحقّ شديدَ العقاب

قولُه: ﴿شَدِيدُ﴾ خبر للحرف النّاسخ، وقد أوثر التّعبيرُ به دون (قويّ) أو (كبير) أو غير ذلك؛ لما يدلُّ عليه من القوّة مع الصَّلابة[2]،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 414.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 107.

ما يعني: أنه لا تهاون ولا شفقة مع من يتحدَّى الله تعالى، ويُعادي رسولَه ﷺ؛ إذ يعاقبه الله بأعلى أنواع العذاب وأشدِّها، وبما لا يصل إليه في الإيلام والشدّة نوعٌ آخر، سواء في الدّنيا أم في الآخرة، وفيه تأكيدٌ لشناعة فعل اليهود بصفة خاصّة، وقبح من ينهج نهجهم، ويسير على دربهم بصفة عامّة، وفيه أيضًا تقوية لاستحقاقهم هذا النّوع من العذاب من غير ظلمٍ ولا جَوْرٍ، وفيه تعريضٌ بهم، فلمّا كانت مشاقّتهم شديدةً على الإسلام والمسلمين، ناسب أن يُعاقبهم من جنس مشاقّتهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُشاقَّة والمفارقة:

الشقاق يَدُلُّ على انصداعٍ في الشَّيْءِ، ومنه: الخِلافُ والمخالفة وكونك في شِقٍّ غير شِقِّ صاحبك، أمّا الفِراقُ والمُفارَقَةُ؛ فضدُّ الوصال، وتكون بالأبدان أكثر، قال تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: 78]، وقال أيضًا: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة: 28][1]، ولما كان واقع اليهود مع رسول الله ﷺ هو الغدر والخيانة والتَّآمر؛ ناسب التّعبير بمفردة (الشّقاق) الدّالة على أنَّهم اتّخذوا شِقًّا غيرَ شقِّ الرّسول، وفارقوه بأبدانهم وقلوبهم، وصاروا يمثِّلون فريقًا مناوئًا له ولدعوته، وانضووا تحت لواءٍ غيرَ لوائه، بخلاف مفردة (الفراق) الّتي يُفهم منها أنَّهم فارقوه فراقًا يمكن بعده العودةُ والتَّقاربُ، وهو ما لا ينطبق مع المقصود، بالإضافة إلى أنَّ الفراق لا يقتضي العداوة، بخلاف المشاقّة فهي نصٌّ في العداوة.

المفارقة لا تقتضي العداوة، والمشاقّة نصٌّ في ذلك

العذاب والعقاب:

العذاب يعني: الألم المستمرَّ الّذي لا انقطاع له[2]، والعقاب ينبئ

العذاب نظرٌ باعتبار الألم، والعقاب نظرٌ باعتبار الجزاء بالعدل

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (فرق)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/ 186.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 239.

عَن استِحْقاق، وسمّي بذلك لأنَّ الفاعِل يسْتَحقُّهُ عقيب فعله، ويجوز أن يكون العَذاب مُسْتَحقًّا وغير مُستَحَقٍّ، وأصل العقاب التُّلُوُّ، وهوَ تأدية الأوَّل إلَى الثّاني، يُقال: عقب الثّاني الأوّلَ؛ إذا تلاه، وعقب اللَّيلَ نَهارٌ، واللَّيلُ النَّهارَ، فهما عقيبان[1]، ولما كان السّياق؛ لبيان ما يستحقُّه بنو النّضير جزاء غدرهم برسول الله وتآمرهم مع الأعداء عليه؛ ناسب التّعبير عن عقابهم بمفردة (العذاب)، في قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ عقابهم بالغٌ الغايَة في الشدَّة والألم بسبب خيانتهم، ولمّا كان القصد بيان أنَّ نزول هذا العذاب سيكون فوريًّا، ولن يُمهلوا، أو يُهملوا؛ ناسب التّعبير بمفردة (العقاب) في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 240.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"